الخوف من الله ودوره في تثبيت الإيمان في كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام

فاطمة وحيد دستجردي

طالبة دكتوراه، قسم علوم ومعارف نهج البلاغه، جامعة القرآن والحديث، قم، إيران

f.vahiddastjerdi59@gmail.com

الدكتور أحمد كريمي (الكاتب المسؤول)

أستاذ مساعد، قسم كلام، جامعة القرآن والحديث، قم، إيران

ahmad.Karimi@gmail.com

The role of fear of God in the establishment of faith in the words of Imam Ali (Peace be upon him)

Fatemeh Vahid Dastjardi

Ph.D. student of Nahj al-Balagha Science and Education , Quran and Hadith University , Qom , Iran

Dr. Ahmad Karimi (Responsible writer)

Assistant Professor of Theology Department of Quran and Hadith University, Qom, Iran

الملخص:-

الإيمان بالله من أهم المواضيع المطروحة في علوم المعرفية، و بما أن هذا الطريق محفوف بالمخاطر و الإنحرافات فلابد من صيانة هذا الأمر، وهذا ما ورد عن أهل البيت الكرام عليهم السلام وخاصة أميرالمؤمنين علی عليه السلام وقد أنزل الله في محكم كتابه آيات كثيرة تشير إلى هذا الموضوع وكيفية صيانة الإنسان نفسه والآخرون من التعثر والإنهيار في متاهات هذا الطريق الصعب ومن الأمور التي أكد عليها القرآن الكريم هو الخوف من الله تعالى والذي له دور الرئيسي في الثبات على الدين، لقد بحث هذا الموضوع من قبل عدد من المحققين ونحن في هذا المقال نبحث عن هذا الموضوع من منظر نهج البلاغة و المنهج الذي اتخذناه منهج الوصفي التحليلي، قد بينت الدراسات السابقة أن الخوف من الله تعالى هو صفة من صفات المؤمنين وأن المؤمن الذي يخاف من الله سبحانه ولا يعلم بقبول أو رد أعماله يسعى كثيرا أن يتجنب الذنوب ويعلم أن إرتكاب الذنوب تضعف إيمانه بالله تعالى ولذا يسعي أن يتجنبها مما يؤدي إلى تقوية الإيمان في القلب.

الكلمات المفتاحية: الخوف، الخوف من الله، الإيمان.

Abstract:-

In the discussion of epistemology, belief in God is considered one of the most important topics. Due to the importance of this discussion, it is very important to preserve and protect it from weakness and deviation. In the traditions of the innocents (a.s.), especially Imam Ali (a.s.), faith has been discussed, and narrative and Quranic solutions have been mentioned to strengthen it. One of these solutions is the fear of God, which has a direct effect on the steadfastness of faith. Although some researchers have investigated and analyzed the teaching of faith and fear of God, in this article, with a descriptive and analytical method and using Nahj al-Balagha, how fear affects It has been examined and analyzed from God in the establishment of faith. Researches show that fear of God is a characteristic of pious people, and factors such as fear of knowing God's greatness, not accepting deeds before God, and knowledge of the ugliness of sin cause fear of God, and since sin causes weakness of faith. fear of God leads to not committing sin. In this way, the fear of God causes avoidance of sin and the effect of that is the establishment of faith in the heart.

Key words: fear, fear of God, faith.

المقدمة:

معرفة الله من أهم المواضيع التي طرحت في النظرية المعرفية الدينية ويعتبر ترسيخ الدين و الثيات عليه من أهم أعمدة و قضايا الأساسية في نظرية المعرفة الإلهية، وتتشارك عوامل مختلفة لثبات الدين و ترسيخه ومن أهم هذه العوامل هو مخافة الله عزوجل. الخوف صفة مذمومة إلا إذا كانت لله وحده و الخوف من الله أي الخوف من القصور في أداء الواجبات و بقول آخر الخوف من الذنوب التي يرتكبها الإنسان في حياته، وهناك درجات مختلفة للخوف من الله و أعلي درجة الخوف من الله تلك التي تنبع عن علم و شعور والوقوف على عظمة الله، وهذا الإمر يسبب الإبتعاد من المعاصي لأن الشخص يرى نفسه واقفا أمام الله عزوجل والذي يصل إلى هذه الدرجة يبتعد عن المعاصي كلها وهذه المعرفة تأتي بنتائج أخرى منها إزدياد التقوي و الإيمان. أصل كلمة إيمان من آمن وجاء معناه في القواميس بمعنى السلام والطمأنينة وسكون القلب، وقد أخذنا هذا المعنى من قواميس الفراهيدي (الفراهيدي، ١٤٠٩، ١/١٠٨)، وابن منظور (ابن منظور، محمد بن مكرم، ١٤١٤، ١٣/٢٠)، وجوهري (إسماعيل بن حماد، ١٣٧٦هـ، ٤/٢٠٧) وفيروز آبادي (وعلى هذا الرأي الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، ١٤٠٤، ص ١٥١٨) و الإيمان ضد الخوف هو السلام والطمأنينة ولا يمكن الجمع بينهما. ذكر الإمام أير المؤمنين عليه السلام أركانا ثلاثة للإيمان: «الايمان معرفةٌ بالقلب واقرارٌ باللسانِ وعملٌ بالاركان.» (نهج البلاغة ح ٢١٨) وقد ذكر علماء العرفان الشيعة ثلاثة أركان: المعرفة بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان. (فاني، ميرحاج، سيد جوادي، خرمشاهي، ١٣٦٨، ٦٥٥/٢) وردت كلمة الإيمان في نهج البلاغة ٥٤ مرة، وجميع المعاني المستخدمة للإيمان في نهج البلاغة هي الإقرار بالله والإيمان به، وهذا المعنى موجود في جميع استخدامات هذه الكلمة في نهج البلاغة. (ولايتي بور، ٢٠١٦، ٣٤).

قصد الإمام عليه السلام من المعرفة هي التي تنبع من معرفة قلبية قد ظهرت في سلوك و أفعال الإنسان. (ولايتي بور، ٢٠١٦، ٣٩).وذهب بعض مفسري نهج البلاغة أن ما قصده الإمام علي عليه السلام من معرفة قلبية إيمانية، هي التي خصّ بها المؤمنون والصالحون الذين وعدهم الله بالجنة. (الموسوي، السيد عباس، ١٤١٨هـ، ٣٨٣/٣). الإقرار باللسان هو أن الإنسان يعترف بذلك بلسانه والركن الثالث هو العمل بالأركان. وذهب بعض شارحي نهج البلاغة

أن المراد من العمل بالأركان هي العمل بالجوارح.فيما إعتقد البعض أن العمل بالأركان هو القيام بما أوجبه الله. (شريعت: ١٣٦٠، ٩٣٥؛ دشتي، ترجمة نهج البلاغة، ص ٤٨٣؛ شهيدي، ١٣٧٠، ٣٩٨؛ مبشري، ١٣٧١، ٣٩٨؛ موسوي، ١٤١٨هـ، ٥/٣٨٣).

وقد قسم الإمام علي عليه السلام الإيمان إلى قسمين في نهج البلاغة فيقول:

«فَمِنَ الْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِرّاً فِي الْقُلُوبِ وَ مِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِيَ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَ الصُّدُورِ إِلى أَجَلٍ مَعْلُومٍ» (نهج البلاغة،خ١٨٩)

شارحوا نهج البلاغة ذكروا أن ماقصده الإمام عليه السلام بهذه العبارات أن الإقرار هو الإقرار بوجود الله عزوجل وما هو لله عزوجل؛ كصفات الجلالية والجمالية والإقرار بنبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى تصبح ملكة في نفس الإنسان و إن لم يحصل هذا الأمر فإن الإيمان للشخص متزعزع (ابن ميثم الحراني ١٤١٢، ٣٨٥/٣).

قال الآخرون: إن المقصود من كلام الأمام عليه السلام هو إيمان أصحابه به و إنهم لم يتخلوا عنه حتى في أصعب الظروف.في قبال هذا الإيمان هناك نوع آخر من الإيمان والذي يسميه البعض الإيمان المستعار والذي لا مكان للإيمان في قلب صاحبه بل يعيش صاحب هذا القلب في ظل الإيمان مادام يتماشي مع أهوائه (موسوي: ١٤١٨، ٢/ ٢٧٥).

وقد أخذ ابن أبي الحديد في شرح هذا المقطع من نهج البلاغة من قول الإمام علي عليه السلام ثلاثة أنواع من الإيمان.

١ أحدها: الإيمان الحقيقي، وهو الثابت المستقر" في القلوب بالبرهان اليقيني. الثاني: ماليس ثابتاً بالبرهان اليقيني بل بالدليل الجدلي، كايمان كثير ممن لم يحقق العلوم العقلية، ويعتقد ما يعتقده عن أقيسة جدلية لا تبلغ إلى درجة البرهان، وقد سمى عليه السلام هذا القسم باسم مفرد، فقال: إنه عوارى فى القلوب، والعواري: جمع غارية أي هو وإن كان في القلب وفى محل الإيمان الحقيقي إلا أن حكمه حكم العارية في البيت،

فإنها بعرضة الخروج منه، لأنها ليست أصلية كائنة في بيت صاحبها.والثالث: ماليس مستندا إلى برهان ولا إلى قياس جدلى، بل على سبيل التقليد وحسن الظن بالأسلاف، وبمن يحسن ظن الإنسان فيه من عابد أو زاهد أو ذى ورع، وقد جعله عليه السلام عوارى بين

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

القلوب والصدور لأنه دون الثاني، فلم يجعله حالا في القلب، وجعله مع كونه عارية حالا بين القلب والصدر. فيكون أضعف مما قبله (ابن أبي الحديد ١٣٨٧، ١٣/١٠٢) وقد إستخدم الإمام علي عليه السلام مصطلحات أخرى في هذا المجال كالخوف، والوجل، الرهبة، والخشية. إعتبر بعض علماء اللغة أن الخوف توقّع مكروه عن أمارة مظنونة. (الراغب الأصفهاني (١٤١٢هـ، ٣٠٣) وقد اعتبر البعض الخوف معناه الفزع و الذعر (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ٩/٩٩؛ ابن فارس، ١٤٠٤، ٢/٢٣٠). ومعنى آخر الخوف هو اَلْوَجَلُ: استشعار الخوف (راغب الأصفهاني ١٤١٢هـ، ص ٨١١). كما شرحه البعض هو ما يقابل الأمن و يسمى أيضاً بالوجل. (المصطفوي، ١٣٦٠، ٨/٦٢) وفي معجم الرهبة بمعنى المخافة مع تحرز و إضطراب، اَلتَّرَهُّبُ: التعبّد، و هو استعمال الرّهبة، و اَلرَّهْبَانِيَّةُ: غلوّ في تحمّل التّعبّد، من فرط الرّهبة. (الراغب الأصفهاني، ١٤١٢هـ، ٨٤٤). وكلمة الخشية في كلمة (خيشي) اَلْخَشْيَةُ: خوف يشوبه تعظيم، و أكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه،. (الراغب الأصفهاني ١٤١٢هـ ٢٨٨) و لذلك خصّ العلماء بها في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨). وتستخدم الخشية أحيانا بدلا من مادة العلم. (ابن منظور ١٤١٤هـ ٧٦/٢٢٨).

إن مخافة الله لها مكانة عظيمة في القرآن الكريم وفي كلام المعصومين عليهم السلام. الخوف هو حالة سلبية ورد فعل عقلي يظهره الشخص ضد التهديدات أو الخطر أو الأذى، إذا اعتبرنا الخوف سلوك لا إرادي وغير إرادي كرد فعل طبيعي وغير إرادي عند الإنسان فهو لا يخضع للتقييم الأخلاقي، ولا مكان له في هذه الصفة من خير أو شر، أو مدح أو ذم، أو كما يسميها علماء علم النفس الحالات الانعكاسية مثل الشجن والحزن والسعادة، على سبيل المثال، جاء في القرآن عن النبي موسى عليه السلام أنه عندما طرحوا السحرة عصيهم على الأرض و بدت كأنها حيتان، خاف موسى عليه السلام: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (طه: ٦٤)؛ وكل إنسان يستطيع أن يغير سلوكه تجاه الخوف إما يزداد خوفا أو يقلل من خوفه من خلال سلوك و بعض التمارين أو تقضي تمامًا على أسباب إنشائها، هذه تعتبرمقدمات للسلوك الإنساني و يتم تصنيفها بالحسن و القبيح، وإذا أصبحت في بعض الأحيان حالة الخوف أيضا تقييما أخلاقيا ويتم تعريفها بأنها حسنة أو قبيحة، فإن هذا التقييم يعتمد على صحة نفس المقدمات الإرادية وليس على أساس حالة الخوف في حد

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

ذاته، ولذلك فمن الواضح أن الخوف هو رد فعل طبيعي ولا إرادي للخطر وكل ما يسبب الأذى للإنسان (صادقي، [د.ت]، ١٤٦-١٤٧).

ورد في القرآن الكريم آيات تحث الناس بتقوي الله و إعتبرها الإمام عليه السلام أحد صفات المتقين.ومن هنا يتبين لنا أهمية هذا الموضوع و وسعة نطاقها و أن الإنسان الذي يخاف الله يتجنب المعاصي و الذنوب و ترسيخ الإيمان في قلب الشخص و تؤثر على أسلوب حياته. أما فيما يتعلق بأنواع الخوف وعلاقته بتثبيت الإيمان فقد كتبت بعض المقالات، منها كتب آية الله مصباح اليزدي الخوف من الله ودوره البناء في الحياة ١ و ٢ في شكل كتب ومقالات، وقد أشار في هذا المقال إلى ضرورة الاعتدال بين الخوف والرجاء عند الإنسان. وفي مقال بعنوان الخوف والرهبة في الكتاب والسنة، ذكر الغضنفري الأحاديث المتعلقة بالخوف. وقد كتب حسين زاده وكريمي ركن آباد مقالاً عنوانه: نظرية المعرفة في نهج البلاغة وتفسير الميزان، وقد حللا في هذا المقال آراء أمير المؤمنين علي عليه السلام حول الإيمان في نهج البلاغة، وقارنا هذا الأمربما ذكره العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان. وقد ناقش عباس ولايتي بور في أطروحته التي عنوانها الإسلام والإيمان في نهج البلاغة، تعريف الإيمان في نهج البلاغة، وكذلك العلاقة بين الإسلام والإيمان، الخ. ولكن هنا يطرح سؤالان: الأول: ما العلاقة بين مخافة الله وثبات الإيمان؟ وكيف يؤثر خوف الله على ثبات الإيمان؟ وقد تناولنا في هذا البحث أولاً أنواع الخوف في نظر كلام الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة. كما تم بحث العلاقة بين مخافة الله وثبات الإيمان.

١. أنواع الخوف من الله وتطبيقاته في نهج البلاغة

إستخدم أميرالمؤمنين عليه السلام مصطلحات الخوف، الخشية، الوجل، الرهبة في معنى الخوف من الله.

١-١. استخدام الخوف في كلام الإمام علي عليه السلام

وقد وردت كلمة الخوف في القرآن في حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين (معماري والزمردي، ٢٠١٢، ١٣٩). وقد ورد في كلام الإمام علي عليه السلام في حق العارفين، قال عليه السلام: «الْخَوْفُ جِلْبَابُ الْعَارِفِينَ» (التميمي أمادي، ١٤١٠، ٦٦٤)، الْخَوْفُ جِلْبَابُ الْعَارِفِينَ (نهج البلاغة،

خ ١٦٠)، إن للمتقين مكانة عظيمة عند الله، لأنهم خافوا الله عزوجل و هذا الخوف بدا في سلوكهم و أفعالهم، وهناك خوف آخر مذموم وهو الخوف من غير الله عزوجل وهذا ما حدث لبعض اصحاب اميرالمؤمنين عليه السلام الذين إنضموا في حب نهروان إلى الخوارج و وقفوا أمام الإمام عليه السلام (نهج البلاغة ص١٨١).

٢-١. استعمال الوَجَل في كلام الإمام علي عليه السلام

كلمة وجل تعني الخوف و الخوف الممدوح (عمادي انداني ورحماني؛ ١٣٩٥، ١٤). وقد ورد ذكر الوَجَل في القرآن لتبيين سلوك المؤمنين (الحجرات: ٥٢-٥٣؛ الأنفال، ٢-٤؛ العمادي عنداني والرحماني، ٢٠١٥، ١٣). و أيضا الإمام علي عليه السلام استخدم هذه الكلمة بهذا المعنى و قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ وَجِلُونَ»(تميمي آمدي،١٣٦٦،١٩٠) بمعنى أن الإنسان يقف واجلا أمام ربه إذا زاد الإيمان و كمل كمالا عرف عندئذ مقام ربه و موقع نفسه، معرفة تطابق واقع الأمر، و هو أن الأمر كله إلى الله سبحانه فإنه تعالى وحده هو الرب الذي إليه يرجع كل شيء، فالواجب الحق على الإنسان أن يتوكل عليه و يتبع ما يريده منه بأخذه وكيلا في جميع ما يهمه في حياته، فيرضى بما يقدر له في مسير الحياة(الطباطبائي، ١٤١٧، ١٤١٧هـ). ٩/١١-١٢).

وقد وصف الإمام علي عليه السلام صفات أصحاب الشجاعة في قلوبهم بما يلي: وإنّما خصّ اولى المتاع لأنّ أهل الاستمتاع بالدنيا هم المجذوبون عنها من جهة اشتغالهم بمتاعها عن سلوك سبيل اللّه، وعن مكان ذلك على سبيل التقريع لهم، ثمّ عمّا يعتذرون به بعد لقاء اللّه في ترك أو امره على سبيل الإنكار للأعذار (ابن ميثم الحراني ٢٦٤/٢). يَعْمَلُ اَلْأَعْمَالَ اَلصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ يُمْسِي وَهَمُّهُ اَلشُّكْرُ وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ اَلذِّكْرُ يَبِيتُ حَذِراً وَيُصْبِحُ فَرِحاً حَذِراً لِمَا حُذِّرَ مِنَ اَلْغَفْلَةِ وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ اَلْفَضْلِ وَاَلرَّحْمَةِ (نهج البلاغة ص١٩٣).

٣-١. استخدام الخشية في كلام الإمام علي عليه السلام

الخشية هي معنى الخوف والرهبة، و تحصل هذه الصفة في الإنسان إذا عرف الله سبحانه و تعالى و علم أنه قاصر أمام ربه في عبادته وبما يليق بذات الله عزوجل.وهذا ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام بأن الخاشعين هم الذين يعرفون الله حق معرفته و عرفوا نفسهم حق

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

معرفة ويرون أنفسهم لا شئ بالنسبة إلى الله عزوجل (نهج البلاغة، باب ١٦٠). و يصف على عليه السلام هؤلاء بأنهم رأوا باطن الدنيا فيما يرى الآخرين ظاهرها فلذا غلبوا أهواءهم و إشتغلوا بالآخرة ولا يخافون أحدا إلا الله (نهج البلاغة، ح ٤٣٢).

٤-١. استعمال الرهبة في كلام الإمام علي عليه السلام

الرهبة نوع آخر من الخوف المذكور في نهج البلاغة للإمام على عليه السلام. الرهبة هي الخوف المصحوب بالبصيرة وضبط النفس والقلق. وللرهبة استخدامات عديدة في نهج البلاغة، أولها أن الإنسان لو يشكر الله سبحانه و تعالى كل حياته لا يستطيع أن يوفي حق الشكر لله و نعمه(مكارم الشيرازي، ٢٠١٦، ٢/٦٠٢-٥٩٩).

من معاني الأخرى للرهبة هأن الأنسان أو أي مخلوق آخر لا يملك القدرة على فعل أي شئ بسبب خوفه و عجزه يستسلم لإرادة الله عزوجل (نهج البلاغة، باب ١٨٥). و من معان آخر للرهبة في نهج البلاغة هو أن الإنسان يخاف الله عزوجل دون ممارسة القوة، وإذا خاف عبد من ربه، يعبده خوفا منه وليس رغبة فيه،(نهج البلاغة، ص١٩٢). وقد استخدم الإمام علي عليه السلام هذا اللفظ في التعبير عن فضل أهل البيت والمهاجرين في التفوق في الإيمان بالله، وقدم معاوية على أنه من آمن خوفاً (نهج البلاغة، باب ٥٢) التعبير الآخر للرهبة ينبعث من الجانب النفسي للإيمان حيث هناك من يخاف الله ويعبده من أجل الجنة، والبعض يحمده خوفاً من عذابه، والبعض يعبده لأنه رأى بأنه أهل لذلك. (نهج البلاغة، ح٢٣٧).

٢. عوامل الخوف من الله

كل إنسن مادام لم يكن له علم بأمر لا يخاف منه و مثلا الذي لا يخاف العقاب لأنه لا يعلم بنوعية العذاب وربما يكن العبد مهملا في مثل هذه الأمور و الأهمال في مثل هذه الأمور بين المخلوقات و خاصة الإنسان الذي يعد ذا شعور و عقل هو لعدم قدرتهم على إنجاز الأمور بشكل صحيح ولذا فإنهم يسلمون الأمر كله لله عزوجل بسبب عدم دركهم على عظمة الله و قدرته و أن الأمور كلها بيد الله. قال الإمام علي عليه السلام:

«... فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماوات وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ يُعَفِّرُ لَهُ خَدّاً وَ وَجْهاً وَ يُلْقِي إِلَيْه بِالطَّاعَة ﴿إِلَيْه﴾ سِلْماً وَ ضَعْفاً وَ يُعْطِي لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وَ خَوْفاً فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِه...» (نهج البلاغه، خ١٨٥)

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

الله سبحانه و تعالى لم يجبر الإنسان ليخاف منه حتى عند بعث الأنبياء لهداية البشر لم يجبر البشرية على طاعته من باب إستعمال القوة و لو فعل هذا لعبده الناس خوفا منه و عبدوا أصنامهم خفية عنه، قال الإمام علي عليه السلام:

«لَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ وَ عِزَّةٍ لَا تُضَامُ وَ مُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ وَ تُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الِاعْتِبَارِ وَ أَبْعَدَ لَهُمْ ﴿مِنَ﴾ فِي الِاسْتِكْبَارِ وَ لَآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ...» (نهج البلاغة، خ ١٩٢)

لذلك فإن الأنبياء لو أكرهوا الناس على عبادة الله ربما قد حصلوا على نجاح في بادئ الأمر ولكن في النهاية تكن نجاحهم كنجاح الملوك الذين يرغمون الناس في قبول طاعتهم ونعلم أن الناس بسبب خوفهم من بطش السلاطين يخضعون لحكمهم و هذا الخوف لم يحصل عن طريق إرغام النفس و التغلب على الهوي ولا يؤدي إلى ثواب أو عقاب وفي هذا الحال ينقسم إيمان الناس إلى قسمين قسم لطاعة الخالق خوفا منه و قسم طاعة النفس رغبة فيها. (ابن ميثم البحراني ٢٦٦/٣). هذه الحرية تظهر لنا أن العبد لم يكن مكرها في خوفه من الله وهناك حرية إختيار للعبد، هل يخاف الله أو لا؟ و بالتالي نرى أن المعرفة الطريق الوحيد لمخافة الله وكلما إكتسب الإنسان معرفة أكثر صار يخاف الله أكثر.

بعد المعرفة و حصول الخوف من الله عزوجل يسعي العبد لإطاعة الأوامر و يبتعد عن النواهي وكلما إرتكب ذنبا تاب إلى الله عزوجل وتواضع أمامه وسعي في إطاعته (مكارم الشيرازي، ١٣٨٦)،. ٣٨١/٣-٣٧٦) قال الإمام علي عليه السلام:

«...فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ وَ اقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ وَ وَجِلَ فَعَمِلَ وَ حَاذَرَ فَبَادَرَ...» (نهج البلاغه، خ٨٣)

هناك عباد إعترفوا بضعفهم و دركهم عظمة العقوبات التي سينالونها في الآخرة جراء إهمالهم فلذا ترتعد فرائصهم خوفا من الله و من عقابه فلذا هؤلاء يركزون على أعمالهم حتى لا يرتكبوا المعاصي و الذنوب فيعم الخوف كيانهم بأكمله. قول الإمام علي عليه السلام في وصف هؤلاء:

«...وَ بَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ وَ أَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍّ وَ خَائِفٍ مَقْمُوعٍ وَ سَاكِتٍ مَكْعُومٍ...» (نهج البلاغة، خ٣٢)

وهناك عباد وصفهم الإمام عليه السلام بالمتقين و أولياء الله هؤلاء نظروا إلى الدنيا بعين الباطن حينما ينظر الناس إلى الدنيا بعين الظاهر وتغريهم ظواهر الدنيوية، هؤلاء المتقون يخافون الله في أنفسهم كثيرا ولكن هذا الخوف ليس من عقاب أو عذاب بل هؤلاء عرفوا الله حق معرفة وشاهدوا عظمة الخالق فلذا رأوه أهلا للعبادة فعبدوه.

ولذلك عبّر الإمام علي عليه السلام عن الخوف من الله بملابس العارفين:

"الخوف من جلباب العارفين" (التميمي أمادي، ١٤١٠، ٦٦٤)

وبما أن الثياب من ملزومات الإنسان، مخافة الله أيضا ضرورية للإنسان وهذا المدح للمتقين أعلي درجة مدح ذكرها الإمام علي عليه السلام، مخافة الله من علائم المتقين وكلما زاد معرفة الشخص بالله زاد خوفه منه و هؤلاء هم الأقرب إلى الله يوم القيامة (المجلسي ١٤٠٣هـ ٧٨/ ٤١)

ولذلك فإن عوامل الخوف من الله هي الخوف بسب القصور في الأعمال، رجاء الجنة، والخوف من العقاب الإلهي، والخوف من عدم قبول الأعمال، والخوف من معرفة الله والإقرار بعظمته، وأعلى درجات الخوف هي الخشية أو الخوف الذي يحصل بسبب معرفة الله وفيما يلي نشرح هذا الخوف:

١-٢. الخوف من العقاب الإلهي

بما أن الله سبحانه وتعالى لا يخفي عليه خافية من عباده، قد حذرهم من الشيطان والشهوات، فإن الشيطان يدخل في قلب الإنسان ويوسوس له ويزين له الذنوب و يصغر الكبار في أعينه ويبعدهم عن طريق الفلاح والسعادة (نهج البلاغة خ ٨٣) قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ وَ وَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا وَ لِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا وَ حَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا لَا يَنْزَجِرُ مِنَ اللَّهِ بِزَاجِرٍ وَ لَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ وَ هُوَ يَرَى الْمَأْخُوذِينَ عَلَى الْغِرَّةِ، وأرسل رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وَ قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَ صَغَّرَهَا وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوَّنَهَا وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ زَوَاهَا عَنْهُ اخْتِيَاراً وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ احْتِقَاراً فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً أَوْ يَرْجُوَ فِيهَا مَقَاماً بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِراً وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِراً وَدَعَا إِلَى الْجَنَّةِ مُبَشِّراً وَخَوَّفَ مِنَ النَّارِ مُحَذِّراً.(نهج البلاغة ص١٠٩)

عباد وصلوا إلى ذروة المعرفة و العلم بما قاله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حول الجنة و النار، عند تذكر القيامة ترى أعينهم تفيض من الدمع بما عرفوه من الحق و غضوا أبصارهم عن محارم الدنيا و زينتها خوفا من عقاب الله في القيامة؛ هؤلاء الذين يصفهم الإمام علي عليه السلام بهذا الوصف:

«.... بَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ و أَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍّ و خَائِفٍ مَقْمُوعٍ و سَاكِتٍ مَكْعُومٍ...» (نهج البلاغة، خ٣٢)

لقد وصلوا إلى ذروة المعرفة والعلم والخوف من العقاب الإلهي يوم القيامة، حيث يتجنبون المكروهات وزينة الدنيا، لقد وصلوا إلى كمال المعرفة الإنسانية في الخوف من العقاب الإلهي، ويخافون من علم الله، لأن الخوف من نهاية العمل ينشأ من هذا الخوف وهو نتيجة لما كتب في لوح المحفوظ (ابن ميثم البحراني ١٤١٢، ٢/١٥٢-١٤٧)

وفي بيان آخر للإمام على عليه السلام أن الخوف من الله من صفات المتقين، فيقول:

« الخَشيَةُ مِن عذابِ اللّهِ شيمَةُ المُتّقينَ».(تميمي آمدي، ١٤١٠، ٩٤)

وفي حديث آخر يذكر خصائص هؤلاء المتقين على النحو التالي:

« عِبادَاللّه ، إنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبادِاللّه إِلَيْهِ عَبْدا أَعانَهُ اللّهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَاسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ وَتَجَلْبَبَ الْخَوْفَ»(نهج البلاغة، خ٨٧)

ويا عباد الله، لا شك أن أحب العباد إلى الله من أعانه الله في صراعه مع نفسه، جعل الحزن - البعد عن ربه - إزاره والخوف من عقابه - ثوبه الظاهر - جعل الحزن شعاره ولبس ثياب الخوف من الله. إن أحب العباد لله هو الذي تقمص الحزن، وقد أصبح هذا الخوف جزءاً من وجوده، أي أنه يتحسر على الفرص التي لم يغتنمها أو المراتب التي لم يصل إليها، كما جعل الخوف من الله لباسه الخارجي، أي أنه يخشى دائماً أن لا يصدر منه فعل أو معصية أمام الله و يمحي إسمه من السعداء و يكتب في الأشقياء (مصباح اليزدي، ٢٠٠٨، ٣١) والإمام عليه السلام مع أنه يذكر هذا الخوف ولكن يقرنه بالرجاء و حسن الظن بالله وقال:

«...إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ أَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُم بِهِ فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا فَإِنَّ

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

الْعَبْدَ إِنَّمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ وَ إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنّاً بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفاً لِلَّهِ...» (نهج البلاغة، خ٢٧)

يقول ابن أبي الحديد في وصف هذه الخطبة:

"وفي هذا المقطع يأمر الإمام عليه السلام محمد بن أبي بكر أن يجمع حسن الظن بالله والخوف منه، ثم أمره ع بأن يجمع بين حسن الظن بالله و بين الخوف منه و هذا مقام جليل لا يصل إليه إلا كل ضامر مهزول و قد تقدم كلامنا فيه، و قال علي بن الحسين ع لو أنزل الله عز و جل كتابا أنه معذب رجلا واحدا لرجوت أن أكونه و أنه راحم رجلا واحدا لرجوت أن أكونه أو أنه معذبي لا محالة ما ازددت إلا اجتهادا لئلا أرجع إلى نفسي بلائمة." (ابن أبي الحديد، ١٣٨٧، ١٥/١٦٧)

وهذه الألفاظ تظهر بوضوح أن عدم التناسق بين الخوف والرجاء إما يسبب الكبر والبعد عن الله، أو يؤدي إلى اليأس من رحمته، وهو أيضاً عائق في طريق الطاعة والعبودية (مكرم الشيرازي، ١٣٨٦، ٣٦٣/٩)..

٢-٢ الخوف من عدم قبول العمل أمام الله

المتقون أهل الحكمة والفكر، ومعرفتهم بالله أكثر من أي شخص آخر وبسبب هذه المعرفة يدركون مستوى العبادة، و خوفهم من القصور في أداء الفرائض والواجبات التي وضعها الله على عاتقهم، فلهذا يسعون طوال حياتهم في طاعة الله ورضاه ويسارعون إلى فعل الخيرات - ما دامت هناك فرصة في الحياة - والخوف من الله يسعى إلى مغفرة الله ورضوانه والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى بسبب الذنوب التي يرتكبها ويفكر في ما ينجيه يوم القيامة وأجتناب السيئات (ابن ميثم، ١٤١٢، ٥٩٢/٥، ٥٩٣) هكذا يصفهم الإمام علي عليه السلام:

«اتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةَ [تُقاةَ] مَنْ شَمَّرَ تَجْرِيداً وَ جَدَّ تَشْمِيراً وَ كَمَّشَ [أَكْمَشَ] فِي مَهَلٍ وَبَادَرَ عَنْ وَجَلٍ وَ نَظَرَ فِي كَرَّةِ الْمَوْئِلِ وَ عَاقِبَةِ الْمَصْدَرِ وَ مَغَبَّةِ الْمَرْجَعِ»(نهج البلاغه، ح٢١٠).

هؤلاء التقاة وصلوا إلى هذه الدرجة من معرفة الله عن طريق الفكر و الحكمة و يخاف الله من عدم قبوا أعماله، هذا الإيمان المبني على اليقين بما قضي الله في خلقه وأرسل رسله للناس وهذا المعتقد يجري في جميع عروقه وجوارحه.

المتقون الذين وصلوا إلى هذه الدرجة من المعرفة المبنية على العلم والمعتقد، لا يكتفون بذلك بل بتركهم للذات الدنيا يبحثون عن إزالة العوائق لكي يصلوا إلى يقين لا يشوبه شئ عن طريق الشهود، وهذا الإيمان يوازن علمه و عمله مع الحلم و غناه في إقتصاده. من شدة معرفة بالله ترتعد فرائصه، ويصبر على الشدائد، و يسعي بكل جهده آن يسير في طريق الهداية والنجاة، ويحسن الظن بالله، و يعلم بجميع الوعود التي وعدها الله المتقين، ومع أنه يتمتع بجميع هذه الصفات الإنسانية العالية ولكنه يخشي عدم قبول أعماله.

وقد ذكر الإمام علي عليه السلام هذه الصفات في المتقين في خطبته فقال:

«... لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ وَحَزْماً فِي لِينٍ وَ إِيمَاناً فِي يَقِينٍ وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ وَعِلْماً فِي حِلْمٍ وَقَصْداً فِي غِنًى وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ وَتَجَمُّلًا فِي فَاقَةٍ وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ وَطَلَباً فِي حَلَالٍ وَنَشَاطاً فِي هُدًى وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ يَبِيتُ حَذِراً وَيُصْبِحُ فَرِحاً حَذِراً لِمَا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ.... » (نهج البلاغه، خ ١٩٣)

المتقون وصلوا إلى درجة من الخوف بأنهم يخافون من أعمالهم، يعملون الصالحات وفي نفس الوقت يخشون قصورهم في أداء الواجبات و ترك المحرمات ولا يثقون بأعمالهم إلا في يوم القيامة حينما ترفع الحجب ويري كل شخص كتابه، وهو لا يعلم بأن العمل الذي قدمه ربما كان فيه خلل في النية وهذا ما يؤدي إلى فساد العمل، أو يرفض من قبل الله سبحانه و تعالى وهم يخافون القصور في أداء الأعمال.

هؤلاء دائما ينظرون إلى كتابهم بأنه خال من الحسنات و ملئ بالسيئات ولابد من فعل الخيرات لكي ينالوا رضي الله سبحانه و تعالى.

٣-٢. الخوف من عظمة الله

من أهم استراتيجيات الجانب التربوي والأخلاقي مخافة الله، وفقدان هذا الخوف في الحياة يمنع الكثير من الوصول إلى الكمال. أن هذا النوع من الخوف يجلب المعرفة الشاملة للمتقين، ويكشف لهم باطن الدنيا و قبحها و يعرفون الدنيا حق معرفتها و يبتعدون عنها فلا تغرهم ظواهر الدنيا الساحرة، إنهم يواجهون خوفين الخوف من النفس و الدنيا و مظاهرها الغراء التي تغري كل إنسان فلذا يبتعدون عنه « فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ» (نهج

البلاغه،ح٤٣٢) والخوف الثاني هو الخوف من الله، وكلما زادت معرفة الشخص بالله صغرت الدنيا وما فيها في أعينه، وهذا الخوف ليس الخوف من عقاب الآخرة بل هو الخوف من معرفتهم بالله وكلما زاد معرفتهم زاد خوفهم، والخوف الوحيد الذي يخافون منه هو سخط الله و غضبه وليس هناك أخوف منه، الخوف والرجاء ملئت أركانهم و لا يشركون مع الله إله آخر ولا يخافون من أي شخص و يصبرون أمام الشدائد ويثابرون في كل أحداث الحياة «لاَ يَرَوْنَ مَرْجُواًّ فَوْقَ مَا يرجُونَ، ولاَمَخُوفاً فَوْقَ مَا يَخَافُونَ» (نفس المصدر، ح٤٣٢). و قد ذكر الإمام في الحكمة رقم ٨٢ مثل هذا التعبير حيث قال: أوصيك بخمس إجتهد في تحقيقها إلى أن قال: «لاَ يرْجُونَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلاَّ رَبَّهُ وَ لاَ يخَافَنَّ إِلاَّ ذَنْبَه» (نهج البلاغة ح ٨٢).

كلما زاد معرفة الشخص بالله أكثر كلما زاد خوفه و خشيته من الله أكثر و رأى نفسه ضعيفا أمام الخالق وهذا الخوف ليس الخوف من العقاب بل هو الخوف من هيبة الله وعظمته وجلاله والإمام علي عليه السلام وصف هؤلاء بأعلم الناس: اَعلَمُ النّاسِ بالله سبحانَهُ أخوَفُهم منهُ» (تميمي آمدي،١٤١٠، ١٩٠)

كثير من شارحي نهج البلاغة قد ذكروا أن مقام الخشية هي خاصة بالمعصومين عليهم السلام الذين وصلوا إلى أعلي رتب المعرفة الإلهية. (راجع وصف نهج البلاغة لابن ميثم والمرحوم مغنية والعلامة الششتري والمرحوم كمره اي. مكارم الشيرازي، ١٣٨٦، ٥٢/٢) وهناك من وصف هذا المقام للعرفاء (وصف نهج البلاغة لابن أبي حديد ٢٠/ ٧٧)، العلامة المجلسي على هذا الرأي، ويقول أن هذا المقام أولا للمعصومين عليهم السلام وهناك بعض العلماء الذين وصلوا إلى مستويات من هذه المرتبة:

«وهذه مِن أوصافِ أئمّتنا المُقَدَّسِينَ صلواتُ اللهِ عليهِم أجمَعين ويُحتَمل أن تَشمَل الحَفَظَةَ لأخبارِهم المُقتَبسِين من أنوارِهم» (مجلسي، ١٤٠٣، ٦٦/ ٣٢٠).

العبد الذي يسيرفي طريق الحق ويصل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى تظهر حالة الخوف والخشوع في جميع أركانه.

٤. معرفة قبح المعصية

كثير من الروايات و الآيات أوصت الإنسان بالتقوى الله والإبتعاد عن المعاصي:

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٨١). وكما يقول الإمام علي عليه السلام:

«...مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ وَ اخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ...»(نهج البلاغه، خ ٢٣).

هذا الخوف الذي ذكرناه ليس بمعنى الخوف من ذات الله لأن الله أرحم الراحمين بل هذا الخوف يدل عل أن الناس تخاف الله ولكن هذا لا يعنيي مصدره أي ما يهدد مصالح الناس و يحرمه من الملذات الحقيقية في الآخرة، لذلك ينسب هذا الخوف بداية إلى هذه الأمور، لكن في بعض الأحيان، بسبب مصالح السببية والمسببة، فإن الشخص أو الشيئ يكون سببًا في ظهور الخطر أو الحرمان المصالح ينتمي أيضًا إلى هذا الخوف. على سبيل المثال الإنسان الذي يخاف من الذئب، خوفه في الحقيقة هو تمزق جسده و الأضرار التي تحصل بسبب هذا التمزق وبما أن مسبب هذا التمزق الذئب فإن الإنسان يخاف منه، وينسب الخوف إلى مسبب ذلك ولهذا في الإسلام والتعاليم الدينية ذكرت مباشرة هذا المسبب وكذلك كان دأب الرسل على فعل ذلك(صادقي، حسن، [د.ت]، ١٥١-١٥٢).

لذلك يخاف الإنسان من الذنب الذي ارتكبه؛ إن يوم القيامة وعاء للعذاب، لذلك يخشى ذلك اليوم أيضا، و الجحيم مكان عذاب ولذلك يخاف منه، والله الذي خلق هذا النظام وجعل لكل ذنب عقوبة، لابد أن نخاف منه ولذلك قال الإمام علي عليه السلام:

«الخَوفُ سِجْنُ النَّفْسِ عَنِ الذُّنُوبِ وَرَادِعُها عَنِ المَعاصِي» (تميمي آمدي، ١٤١٠ق، ٣٦٨٢)

لذلك فإن مخافة الله هي سجن للنفس وعامل لمعرفة الخطيئة وتجنبها. أول خطوة للتقرب إلى الله هي المعرفة ومعرفة الذنوب والمعاصي، والشخص الذي يتجنب الذنوب والمعاصي يصل إلى مراتب علياء لم يصل إليها شخص آخر ولا يمكن التقرب إلى الله إلا بالإبتعاد عن المعاصي، وهذا الأمر يشمل جميع الناس حتى الخواص من أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام ويروي عن عماربن ياسر أنه سأل الإمام علي عليه السلام عن دواء الذنوب، وقال الفقر ورق، والصبر جذر، والهليلة كتم الإسرار والبليلة الرضا... وأعمل بالخوف والرجاء وإصطحبه بقيام الليل (الحرالعاملي، [د.ت]، ٣ /٢١٥). وفي حديث آخر قال الإمام علي عليه السلام:

«البُكاءُ مِن خَشيةِ اللّهِ ينيرُ القلبَ، و يعْصِمُ مِن مُعاوَدَةِ الذَّنبِ». (ليثى واسطي، ١٣٧٦ش، ٢١).

لذلك، بمعرفة قبح الخطيئة ومخافة الله، يستطيع العبد أن يصل إلى مرتبة القرب الإلهي،و الإيمان أهم طريق للوصول إلى الكمال، و أركان الإيمان عند الإمام علي عليه السلام ثلاثا: القلب، واللسان، والجوارح، وعند ارتكاب المعاصي، نفقد ركنا من أركان الإيمان وهو العمل بالجوارح وعند إرتكاب المعاصي تصبح الجوارح بيد الشيطان و تسمع أوامره ولا تستجيب لنداء القلب، ولذلك فإن للمعاصي أثرا مباشراً وضاراً على الإيمان، لأن فقدان أحد أركان الإيمان يهدم الركنين الآخرين و لا يرجع إلى سابق عهدها إلا بالتوبة(ولايتي بور، ١٣٨٩، ١٧٠)

ومن جهة أخرى، الإمام علي عليه السلام يشير إلى أن الإيمان الذي يرتفع بالعبد إلى مرتبة القرب الإلهي هو الإيمان الذي لا يشوبه ذنب ولا معصية و يبدو أن الإيمان الذي يتزعزع بواسطة المعاصي والذنوب يخرج من طبيعته و ينحرف عن الطريق الصواب، وهذا الإنحراف هو إرتكاب المعاصي و الذنوب التي تزلزل آركان الإيمان و تعتبر المعاصي و الذنوب من أهم العوائق والتهديدات التي تهدد الإيمان، والذنوب كثيرة منها الصغائر و الكبائر وقد ذكربعض منها أميرالمؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة منها مجالسة أهل الهوي و الفسوق و الحساد و الكذابين و إعتبر الإمام مجالسة أهل الفسق سببا لنسيان الإيمان: «مجالسه اهل الهوي منساه الايمان» (نهج البلاغه،خ ٨٦). أهل الهوي هم الذين خضعوا لأهوائهم و نفسهم، وهم أصحاب الباطل والفساد، وما يحدث في مثل هذه المجالس الغيبة و النميمة و الأباطيل والشيطان يحضر من مثل هذه المجالس والشخص الذي يشارك في هذه المجالس ينسي نفسه و الإيمان (الموسوي ١٤١٨هـ ١٥/٢، ولايتي بور ١٣٨٦، ص٥٥). ومن المصاديق الأخرى للذنوب هو الكذب الذي له أثر مباشر على الإيمان و قال الإمام علي عليه السلام في هذا الشأن:

«جانبوا الكذب فانه مجانب للايمان»(نهج البلاغه، خ ٨٦).

الكذب من كبائر الذنوب التي نهى الناس عنها. وفي نهج البلاغة، اعتبر الإمام علي عليه السلام الكذب من عوامل البعد عن الإيمان، ورد في القرآن: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (الحج:٣٠)، وفي

آية أخرى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾ (النحل:١١٦).

من الذنوب الأخرى التي إعتبرها الإمام علي عليه السلام من آفات الإيمان هو الحسد، وقد ذكر الإمام علي عليه السلام أن الحسد يأكل الإيمان: «الحسد ياكل الايمان كما تاكل النار الحطب» (نهج البلاغه،خ ٨٦). فالحسد صفة شيطانية تخترق القلب وتسبب ضعف الإيمان، إن الإنسان الحسود يحتج على الإرادة الإلهية أمام النعمة التي أنعم الله بها على غيره، و كأنه يعترض على الحكم الإلهي، التخلص من الحسد واجب، لأن الحسد كما شبهه أمير المؤمنين عليه السلام هو النار الذي يحرق الإيمان و يمنع صاحبه من فعل الخيرات لأنه مشغول بغيره و يقضي على الحسنات الماضية (ابن ميثم البرهاني ٢٨٢/٢). هذه بعض الذنوب التي تضعف الإيمان، وللذنوب تاثير كبير على الإيمان و ذكرنا بعض منها.

٥. العلاقة بين مخافة الله وتثبيت الإيمان

كما ذكرنا فإن خوف الله موجود في جميع المخلوقات بسبب عجزهم في بعض الأمور، ومن ناحية أخرى، مستوى هذا الخوف في الإنسان بيده و على الإنسان أن يجهد في معرفة الله حتى يزداد هذا الخوف فيه، والإنسان الخائف سواء كان خوفه من العذاب أو عدم قبول الأعمال أو الخشية من عظمة الله لابد أن يبرز هذا الخوف في سلوكيات و أفعال ذلك الشخص.

وشدد الإمام علي عليه السلام على ضرورة مخافة الله فقال:

«احْذَروا مِن اللّهِ ما حَذّرَكُم مِن نَفْسِهِ، واخْشَوهُ خَشيَةً يَظْهَرُ أثرُها علَيكُم» (ليثي، ١٣٧٦، ١٠٤/١)

وحينما وافاه الأجل وصي إبنه بوصايا منها:

«أُوصيكَ بخَشْيَةِ اللّهِ في سِرِّ أمرِكَ وعَلانِيَتِكَ » (مجلسي،٧٠، ١٦٤/١٤٠٣)

كما ذكرنا الناس في قبال الخوف من الله ثلاث أصناف: إما يخاف الله خوفا من عقابه، أو يخاف الله خوفا لعدم قبول الأعمال أو يخاف الله و يخشاه لحق معرفة به و عندما وصف الإمام المتقون قال:

«... لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ وَحَزْماً فِي لِينٍ وَ إِيمَاناً فِي يَقِينٍ وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ وَ عِلْماً فِي حِلْمٍ

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

وَقصْداً فِي غِنًى وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ و تجمُّلًا فِي فاقَةٍ و صَبْراً فِي شِدَّةٍ و طَلَباً فِي حَلَالٍ وَنَشَاطاً فِي هُدًى وَتحرُّجاً عَنْ طَمَعٍ يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ و هُوَ عَلَى وَجَلٍ يُمْسِي و هَمُّهُ الشُّكْرُ و يُصْبِحُ و هَمُّهُ الذِّكْرُ يَبِيتُ حَذِراً و يُصْبِحُ فَرِحاً حَذِراً لِمَا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ.... » (نهج البلاغه، خ١٩٣)

ومن أبرز هذه الصفات التي ترى بالعين و تزين صاحبها هو الإيمان المصحوب باليقين «...وَ إِيمَاناً فِي يَقِينٍ...» وهذا الإيمان هو الإيمان الثابت الذي ينبع من معرفة بالله و مخافته. ومن خصائص هذا الإيمان الإقرار بوجود الخالق و ما أرسل من رسل لهداية البشر وهذا الأمريعتمد على البراهين والأدلة، وبعض الأحيان الشخص عن طريق البراهين والوثائق يصل إلى هذه النتيجة ولا غير ذلك وهذا ما يسمي بالعلم اليقين و المتقون لا يكتفون بهذا بل بإعراضهم عن الدنيا و ملذاتها يريدون آن يرفعوا الحجب عن أعينهم و يصلون إلى مرحلة الشهود أي إيمانا لا يهزه شئ (ابن ميثم البحراني ٤١١/٣) و هناك إيمان آخر مصحوبة بالتصديق ولكن تتراوح بين القوة والضعف، أحيانا تقوم على التقليد، أي أنها مطابقة للواقع، لكنها لم تبني على أساس الفكروالعقل، و بعض الأحيان تبني على الفكر والعقل.(ابن ميثم البحراني ١٤١٢، ٤١١/٣)

قال تعالى في محكم كتابه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (انفال:٢-٥)

يستفاد من هذه الآيات الثلاث أن الإيمان الذي بني على أركان ثلاث القلب و اللسان و الجوارح أيضا تتضمن أمور أخرى منها إذا ذكر اسم الله وجلت القلوب وأحس بالمسؤولية (مكارم الشيرازي ١٣٨٦ ح ٢١٨) ولهذا فإن تقوى الله من أصول الإيمان الثابت، و هذا ما أشار إليه الإمام علي عليه السلام:

«خَشيَةُ اللّه جِماعُ الإيمانِ» (تميمي آمدي، ١٣٦٦ش، ١٩٠)

كلما زاد خوف الله في القلب، كلما أصبح الإيمان أكثر تأصيلا، وبالتالي فإن مستوى المعرفة والوعي بالله يؤدي إلى الخوف من الله، وكلما زاد هذا الخوف، كلما زاد تحكم

الإنسان في قلبه و جوارحه، فيستعملهم في طاعة الله، فيزداد إيمانه ثباتاً.

حسب ما ذكره شارحوا نهج البلاغة أن الإيمان الثابت، أو اليقين في الإيمان و هو أعلي درجة الإيمان و اليقين خاص بالمتقين، هناك فئتان يخافون الله الفئة الأولى تخاف من العقاب و الفئة الثانية تخاف عدم قبول أعمالها، وهناك فئة ثالثة تخاف الله و تخشاه لأنها عرفته حق المعرفة وعندما يقف أمام الخالق و يدرك عظمة الخالق ترتعد فرائصه.

ويبدو أن الإمام علي عليه السلام يشير إلى هذه الفئة عندما قال: لاَ يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ (نهج البلاغة خ١٧٦). هؤلاء الذين تأصل خوف الله في قلوبهم و لا يرتكبون المعاصي و الذنوب ولا يميلون إليها والذي يصل إلى مثل هذه الرتب يصل إلى مرتبة الخشية و تأصل الإيمان في قلبه والذي يتأصل الإيمان في قلبه يصمد في الشدائد و لن يتغير موقفه (نهج البلاغة، خ ١٨٩).

النتيجة:

لقد إستخدم الإمام علي عليه السلام مصطلحات أخرى تعبر عن الخوف و هي الخوف، الوجل، الرهبة والخشية والاستخدامات هي كما يلي: وردت كلمة الخوف في كلام الإمام علي عليه السلام لوصف العرفاء. و العارف هو الذي يظهر خوفه من الله في تصرفاته وسلوكه. وكلمة الخوف تستخدم أيضاً للخوف والثقة بالدنيا و مظاهرها، وهو خوف مذموم أو خوف لغير الله. الوَجَل من صفات المتقين و أشار الإمام إلى صفاتهم و خصائصهم. ورد الخشية في كلام الامام لاداء حق مخافة الله بحيث لا يبقى له عذر، والرهبة هو نوع آخر من الخوف المذكور في نهج البلاغة للامام على عليه السلام، الرهبة هي الخوف المصحوب بالبصيرة والنظرة المستقبلية والقلق. و للرهبة معان أخرى إستخدمت في نهج البلاغة، أول معنى مستخدم لها هو عدم قدرة الإنسان على شكر نعم الله. والمعني الآخر للرهبة هو أن المخلوقات بطبيعة حالهم لا يقدرون على فعل بعض الأمور فلذا يصيبهم الخوف و يسلمون هذا الأمر إلى الله،كما يشير الإمام في نهج البلاغة أن الرهبة تظهر في الإنسان دون ممارسة القوة، ولو اقترن هذا الخوف بممارسة القوة لتظاهرالعباد بخشية الله خوفا من السلطة، وقد استخدم الإمام علي عليه السلام أيضاً كلمة الرهبة في وصف فضائل أهل البيت والمهاجرين في التقدم في الإيمان بالله وتقديم معاوية على أنه آمن خوفاً، ومن الاستخدامات الأخرى

للرهبة التعبير عن الجانب النفسي للإيمان، حيث قال عليه السلام: «...انَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ...»

أشار الإمام علي عليه السلام أن الخوف موجود في طبيعة جميع المخلوقات ولكن الخوف من الله لدي البشر هي نتيجة معرفته و الأنبياء والرسل لم يجبروا الإنسان على مخافة الله، بل كان حق الإختيار للبشر في هذا الأمر. ذكرت عوامل للخوف من الله تعالى منها الخوف من العقاب و الخوف من عدم قبول الأعمال والخوف من عظمة الله و جلاله وهذا النوع من الخوف هو أعلي درجة و مرتبة لأنه ينبع من معرفة و وعي،هناك فئة من الناس يسمعون كلام الرسل و إذا ارتكبوا ذنبا إعتذروا و تابوا إلى الله ولما أذلوا أنفسهم ظهرت عليهم آثار الخوف و الرهبة من الله تعالى و ذلك نتيجة معرفتهم بالله.

على مستوى أعلى هناك فئة يخافون الله في كل وقت خوفاً من ألا تقبل أعمالهم، ويخافون على أنفسهم من القصور في أداء الواجبات و الفرائض كما تليق بمستوي الرب، و تعتب درجة هؤلاء أدني رتبة من الذين يخافون الله خوفا من عظمته و جلاله ولكن الإمام أثني عليهم وأشار إلى بعض صفاتهم، وهناك من يخاف الله بسبب معرفته بالله و عظمته و جلاله وخوف هؤلاء ليس لأجل العقاب أو عدم قبول الأعمال بل رأوا أن الله أهلا للعبادة فعبدوه و هؤلاء هم الذين وصفهم الإمام عليه السلام بأنهم أولياء الله، يرى عظمة الله، فيرى نفسه صغيراً ومتواضعاً أمامه، ويري جلاله و عظمته و ترتعد فرائصه، وقد اعتبر بعض المفسرين أن المعصومين عليهم السلام هم الذين وصلوا إلى هذه المرتبة، وذهب آخرون إلى أن بعض العلماء أيضا يصلون إلى هذه المراتب.

من صفات المتقين تأصيل إيمانهم بالقلب. وإن كان الإيمان عند الإمام عليه السلام له ثلاثة أركان: معرفة القلب، والإقرار باللسان، والعمل بأركانه، ولكن أحد أصوله هو مخافة الله، الإنسان التقي، يسري خوف الله في جميع جوانب حياته لأنه وصل إليها بالعلم والمعرفة و اليقين و هؤلاء لم يكتفوا بهذا القدر بل يخطون نحو الأعلى ليصلوا إلى علم اليقين و إزالة جميع الحواجب بتركهم الدنيا و مظاهرها مما يؤدي إلى معرفة و يقين لا يهزه شئ.

قائمة المصادر والمراجع

- إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

١. أمير المؤمنين، الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، المختار من كلام أمير المؤمنين، جمعه: الشريف الرضي، محمد بن الحسين، تحقيق: صبحي الصالح، قم، ط الأولى، ١٤١٤ ق
٢. الفراهيدى، خليل بن احمد. العين. قم: هجرت، چاپ دوم، ١٤٠٩ هـ.ق.
٣. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت: دارصادر، چاپ سوم،١٤١٤ هـ.ق.
٤. الجوهري، اسماعيل بن حماد، صحاح تاج اللغة و صحاح العربية، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، چاپ اول، ١٣٧٦ هـ.ق.
٥. فاني، كامران، ميرحاج، احمد و سيد جوادي، سيد و خرمشاهي، بها الدين، دائره المعارف تشيع، سازمان دائره المعارف، ١٣٦٨.
٦. الموسوي، سيد عباس، شرح نهج البلاغه، بيروت دارالرسول الاكرم، ١٤١٨.
٧. الحراني، ابن ميثم، شرح نهج البلاغه، بيروت، درالاحياء الاتراث، ١٤١٢ق.
٨. ابن ابي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغه، بيروت:دارالحياء الكتب العربيه،١٣٨٧ش.
٩. شهيدي، سيد جعفر، ترجمه نهج البلاغه، تهران:آموزش انقلاب اسلامي،١٣٧٠.
١٠. شريعت، محمد جواد، ترجمه نهج البلاغه، اصفهان، مشعل، ١٣٦٠ش.
١١. الراغب الأصفهانى، حسين بن محمد. مفردات الفاظ القرآن. بيروت: دارالقلم، چاپ اول، ١٤١٢ هـ.ق.
١٢. مصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن، تهران:بنگاه ترجمه و نشر كتاب، ١٣٦٠ش.
١٣. الطباطبايي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن،قم: بنياد علمي و فكري علامه طباطبايي، ١٣٦٠ش.
١٤. المجلسى، محمد باقر، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار عليهم السلام محقق و مصحح: جمعى از محققان، بيروت: دار إحياء التراث العربي، چاپ دوم، ١٤٠٣ هـ.ق.
١٥. البرقى، احمد بن محمد بن خالد. المحاسن، تصحيح و تعليق: جلال الدين محدث، قم: دار الكتب الاسلاميۀ. چاپ دوم، ١٣٧١هـ.ق.
١٦. ولايتي پور، استاد راهنما ناصح، على احمد، مشاور: نجفي، محمد جواد، ايمان و اسلام در نهج البلاغه، قم: دانشگاه قم، دانشكده الهيات، ١٣٨٦.
١٧. الفيروز آبادى، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، بيروت: دار الكتب العلمية، چاپ اول، ١٤١٥هـ.ق.
١٨. التميمي الآمدي، عبدالوهاب بن محمد، غررالحكم و دررالحكم،محقق:رجائي، سيد مهدي، قم: دارالكتاب الاسلامي،چاپ دوم،١٤١٠ه.ق. .

١٩. ، تصنيف غرر الحكم و درر الكلم، محقق / مصحح: درايتى، مصطفى، قم: دفتر تبليغات، چاپ: ١٣٦٦ ش
٢٠. ابن فارس، محمد بن يعقوب، معجم مقاييس اللغه، محقق: هارون، عبدالسلام محمد، قم:مكتب الاعلام الاسلامي، چاپ اول، ١٤٠٤ه. ق.
٢١. مصباح يزدى، محمد تقي، ترس از خدا و نقش سازنده آن در زندگي ١، معرفت، سال نوزدهم،١٣٨٩.
٢٢. مصباح يزدي، محمد تقي، بهترين ها و بدترين ها از ديدگاه نهج البلاغه،تدوين: سبحاني، كريم، قم: انتشارات موسسه آموزشي و پژوهشي امام خميني (ره)، ١٣٨٨
٢٣. صادقي، حسن، اخلاق اسلامي (برگرفته از آثار آيت الله مصباح يزدى)، محمد تقي، قم: موسسه آموزشي و پژوهشي امام خميني(ره)سازمان تدوين كتب علوم انساني.
٢٤. غضنفري،على، ترس و دلهره در قرآن و سنت (اخلاق در قرآن و سنت)، گنجينه معارف، ١٣٩٦.
٢٥. معماري، داوود و زمردي، رسول، گونه شناسي ترس از منظر قرآن كريم.فصلنامه سراج، شماره ١٠، سال سوم، ١٣٩٢.
٢٦. ليثى واسطى، على بن محمد، عيون الحكم و المواعظ(لليثي)، محقق: حسنى بيرجندى، حسين، قم: دار الحديث١٣٧٦ ش، چاپ: اول
٢٧. مبشري، اسدالله، ترجمه نهج البلاغه،قم:دفتر نشر فرهنگ اسلامي، ١٣٧١.
٢٨. القمي، شيخ عباس، مفاتيح الجنان، مترجم: موسوي دامغاني، ويراستار: استاد ولي، حسين، قم: الهادي، چاپ٣٤، ١٣٩٠.
٢٩. الكلينى، محمد بن يعقوب. الكافي(ط- الاسلامية)، تحقيق و تعليق: على اكبر غفارى و آخوندى، تهران: دار الكتب الاسلامية، چاپ چهارم،)١٤٠٧هـ.ق.
٣٠. الشيخ الحر العاملى، محمد بن حسن، الفصول المهمة في أصول الأئمة(تكملة الوسائل) محقق: القائينى، محمد بن محمد الحسين، قم: موسسه معارف اسلامى امام رضا عليه السلام، ١٤١٨ق / ١٣٧٦ ش‌چاپ: اول
٣١. عمادي انداني سميه و رحماني آذر، معناشناسي واژگان ترس در قرآن، ياسوج: نخستين همايش ملي واژه پژوهي در علوم اسلامي،١٣٩٥.
٣٢. الطباطبايى، سيد محمد حسين، الميزان فى تفسير القرآن، قم: دفتر انتشارات اسلامى جامعه‌ى مدرسين حوزه علميه قم، ١٤١٧ق چاپ:پنجم.

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online